ISSN: 2090 – 0449 Online
Type of License: CC BY-NC-ND
DOAJ API documentation: 359c88a5cecf4f7faa1c2f538c431346

تأويل النص التاريخي .. الإمكانية والواقع
كتابة السيرة النبوية مثالاً

د. صالح محمد زكي محمود اللهيبي

رئيس قسم البحوث والدراسات
مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي للبحوث
أستاذ الحضارة الإسلامية والتراث – جامعة الجزيرة (دبي)– دولة الإمارات العربية المتحدة

مُلَخّصْ

يركز البحث على مفهوم تأويل النص التاريخي وكيف ينبغي أن يكون ذلك الفهم في ظل المنهجية التاريخية الإسلامية المتوارثة، وانعكاسات ذلك على الكتابة التاريخية عمومًا وعلى النصوص التاريخية الخاصة بالسيرة النبوية تحديدًا. إن أهمية موضوع البحث تنبع من كونه يرتكز على تبيان وصفي وتحليلي للمنهجية التي يجب أن يتبعها المؤرخ في تأويل النص، وأسلوبه في التعامل مع الرواية التاريخية، ومدى نجاحه في الوصول إلى الرواية الصحيحة أو الأقرب إلى الصحّة، والضوابط التي اعتمدها في الانتخاب والنقد والتحليل والتأويل، واكتشاف الأسباب الحقيقية للحدث، أيْ العناصر المختلفة التي أسهمت في صناعته، مع المعرفة التقريبية بنسبة الأثر الذي يمثّله كل واحدٍ من هذه العناصر. والسؤال الذي يسعى البحث لمعالجته هو إلى أي مدى يمكن للمؤرخ استخدام منهجية التأويل مع الحفاظ على السياق التاريخي والفهم المنهجي العلمي، وهل سيؤدي ذلك إلى فتوح علمية جديدة في الكتابة التاريخية. وتقوم هيكلية البحث على النحو الآتي: (المبحث الأول: مفهوم التأويل بين الإطار اللغوي والتوظيف التاريخي/ المبحث الثاني: تأويل النص التاريخ في ظل الأدوات المنهجية التاريخية/ المبحث الثالث: إمكانية تأويل النص التاريخي والحفاظ على السياق، السيرة النبوية مثالاً)، وسيتم الاعتماد في البحث على جملة من المصادر الأولية والمراجع والدراسات الحديثة.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٢٨ مايو ٢٠١٥
تاريخ قبول النشر: ١٦ سبتمبر ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:

عصر النبوة، النصوص التاريخية، علم التاريخ، الرواية التاريخية، منهجية التأويل

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

صالح محمد زكي محمود اللهيبي. "تأويل النص التاريخي.. الإمكانية والواقع: كتابة السيرة النبوية مثالاً".- دورية كان التاريخية.- العدد الواحد والثلاثون: مارس ٢٠١٦. ص٦٩ – ٧٤.

مُقَدِّمَة

يتناول هذا البحث موضوعًا دقيقًا أرى أنه حري بالبحث، ذلك أنه يركز على مفهوم تأويل النص التاريخي وكيف ينبغي أن يكون ذلك الفهم في ظل المنهجية التاريخية الإسلامية المتوارثة، وانعكاسات ذلك على الكتابة التاريخية عمومًا وعلى النصوص التاريخية الخاصة بالسيرة النبوية تحديدًا. إن أهمية موضوع البحث تنبع من كونه يرتكز على تبيان وصفي وتحليلي للمنهجية التي يجب أن يتبعها المؤرخ في تأويل النص، وأسلوبه في التعامل مع الرواية التاريخية، ومدى نجاحه في الوصول إلى الرواية الصحيحة أو الأقرب إلى الصحّة، والضوابط التي اعتمدها في الانتخاب والنقد والتحليل والتأويل، واكتشاف الأسباب الحقيقية للحدث، أيْ العناصر المختلفة التي أسهمت في صناعته، مع المعرفة التقريبية بنسبة الأثر الذي يمثّله كل واحدٍ من هذه العناصر. والسؤال الذي يسعى البحث لمعالجته هو إلى أي مدى يمكن للمؤرخ استخدام منهجية التأويل مع الحفاظ على السياق التاريخي والفهم المنهجي العلمي، وهل سيؤدي ذلك إلى فتوح علمية جديدة في الكتابة التاريخية.

المبحث الأول: مفهوم التأويل بين الإطار اللغوي والتوظيف التاريخي

المطلب الأول: مفهوم التأويل

لن نخوض طويلاً في المعنى اللغوي للتأويل إلا بالقدر الذي يحرر المصطلح ويجلي المفهوم، فالتأويل لغة: من تأوَّل الكلام: أي فسره ووضح ما هو غامض منه[١]، وتأويل الشيء تفسيره ومرجعه، والتأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء.[٢] ولاشك أن الدراسات التاريخية تحتاج إلى تفسير النصوص وتفسير التاريخ وفق منهجية علمية منصفة تساعد في فهم النص وفق سياقه وعدم الشطط، وكذلك إيجاد قواعد تساعد في تحديد منهجية تاريخية علمية مقبولة للتأويل والفهم. إن الدراسات التاريخية عمومًا لا يمكن التعاطي معها وفق قراءة عابرة سطحية دون منهجية تفصيلية يمكن الاعتماد عليها في فهم النصوص وإنزالها منازلها الصحيحة وفق عقلية تدرك معنى التأصيل والتفصيل والتفعيل والتنزيل. إذن للتأويل والتفسير معنى مستقر في الأذهان وهو إدراك مرامي النصوص، ومفاد العبارة، وإحالات الكاتب، والماورائيات: أي ما وراء النص من غايات ومرامي، وهذا كله يتطلب إحاطة بالمعنى وإدراك للمبنى، وتمييز للمقال ومعرفة بالمآل، مما يعني حتمية وجود عقلية علمية يعتمد عليها في تفسير النصوص.

إن الإشكالية الحقيقية التي يمكن أن يواجهها المشتغلون بتفسير النصوص التاريخية وتأويلها هو الأداة العقلية والعلمية المثلى التي يمكن استخدامها في تفسير النصوص التاريخية بحيث لا تمثل خرقًا لمنظومة الثوابت المتعارف عليها، ولا تربك النسق والسياق التاريخي لكثير من الأحداث التاريخية المحسومة، مع الحفاظ في ذات الوقت على طريقة وأسلوب يمكن المؤرخ من تأويل النصوص وتفسيرها والموائمة بينها بالشكل الذي يسمح بإيجاد رؤى علمية مميزة لهذا المؤرخ عن غيره، مستندة لما استنتجه من آراء وتوصل إليه من نظريات لاسيما في حال وجود تعارض أو نقص في تمام السرد التاريخي لكثير من الأحداث التاريخية، أو عدم انسجام مع الواقع والمفاهيم العقلية والمسلّمات المتواترة.

المطلب الثاني: التأويل التاريخي في إطار فهم النصوص:

لابد ابتداءً من إدراك معنى النص التاريخي والكتابة التاريخية حتى نستطيع تطبيق عملية تأويل وتفسير النصوص وفق منهجية راسخة، فللنص التاريخي تعريفات متعددة وفقًا لمنهجية ورؤية المؤرخين، ويمكن هنا إيراد بعض التعريفات لمفهوم النص التاريخي:[٣]

- هو وثيقة مكتوبة شاهدة على الماضي البشري بأي لغة كانت، بشرط أن تكون أصلية، والوثيقة عمومًا هي المادة الأولية للتاريخ، أي أنها تحمل بين ثناياها مزايا مرحلة زمنية معينة.
- أو هي تلك الوثائق المكتوبة والتي تمثل مجموعة من الحقائق والمفاهيم والتعليلات المرتبطة بحدث من أحداث الماضي.
- يعني جميع الأعمال البشرية التي تشكل في ذات الوقت عناصر أصلية وملموسة لماضي محدد.
- يعني كل نتاج فكري يمكننا من قراءة وفهم الشروط التاريخية التي أفرزته في مرحلة ما وحتى استخدامها من قبل المؤرخ.
- هو كل مصدر للإخبار يتمكن من خلاله المؤرخ من استخلاص شيء من أجل معرفة الماضي البشري.

إن الفهم الحقيقي والإدراك المعمق للنصوص يساعدنا في عملية التأويل والتفسير من حيث: (تسهيل فهم الأحداث للقارئ، وبالتالي معايشته للمرحلة التاريخية قيد الدراسة/ إدراك مفهوم التاريخ بأشكاله المتعددة ومعرفة الأسباب والمسببات/ تطوير القدرات الذهنية، وتوسيع المدارك المعرفية لقارئ التاريخ).[٤]

المطلب الثالث: أثر التأويل في فهم السياق التاريخي:

من المؤكد أن فهم السياق التاريخي يأتى عبر عملية علمية وعقلية مركبة تساعد في النهاية على إدراك الأبعاد والمرامي الكامنة في النص، حيث أن القدرة التأويلية المنضبطة تساعد على القراءة اللاخطية وتفتيت التعقيد واللذان يبرزان دور المؤرخ الحقيقي. ومن جملة الأمور التي يمكن أن نقف عليها والاستفادة منها من خلال تطبيق المنهج التأويلي المنضبط على النصوص التاريخية ما يلي:[٥]

١- التفريق بين الحقيقة التاريخية والرأي.
٢- القدرة على الوصول إلى مراد المؤلف.
٣- التمييز بين المصادر سواء كانت أصلية أم ثانوية.
٤- الوقوف على طبيعة مجريات الأحداث وطرح الزائف والخرافي منها.
٥- يوفر القدرة على التحليل والاستنتاج اللازمين لإدراك طبيعة الحقائق التاريخية.
٦- تطبيق مهارة النقد على الروايات التاريخية.
٧- بناء تصور كامل عن الموقف التاريخي.
٨- الخروج بمفاهيم عامة عن المجرى التاريخي للأحداث.
٩- الخروج بجملة قواعد منهجية يمكن تطبيقها على الأحداث التاريخية الأخرى.
١٠- توضيح خصائص العصر الذي تتم دراسته.
١١- ربط الأحداث بزمانها ومكانها.
١٢- الوقوف على خصائص وطبيعة الأحداث التاريخية.

المطلب الرابع: مراحل التأويل للنص التاريخي:

بعد أن تطرقنا لجملة الفوائد المتحصلة من تأويل النصوص التاريخية نأتى لتبيان أبرز الطرق والأدوات الممكن استخدامها لجعل عملية التأويل للنصوص التاريخية ممكنة:[٦][٧]

١- مرحلة التحليل وتركيز الفهم:

وهنا يتم الدخول لأعماق النص التاريخي بخطى تدريجية راسخة وواثقة من خلال التركيز على الإدراك التام للمفاهيم والمصطلحات التاريخية وغيرها الواردة في سياق النص، وهنا لابد للمؤرخ من التحصن باللغة والمعرفة الأدبية والثقافة الواسعة المدركة. كما أنه لابد من الإلمام بجملة من العلوم والمعارف كاللغة والجغرافيا

والاقتصاد والاجتماع وعلم النفس والشريعة لإدراك المعنى الكلي للنص المراد تأويله.

٢- مرحلة الشرح:

وتفيدنا هذه المرحلة بتبيان الأسباب والمسببات، والدوافع والكوامن، ومن خلال معرفتنا بأسباب وقوع الحدث التاريخي ودوافع حصوله ومعرفة مآلاته ونتائجه، نتمكن من الخروج بتعميمات وتأويلات تاريخية تنمي البناء المعرفي من خلال التأويل المدرك. ولابد من معرفة أسلوب الشرح الغائي أي شرح الحدث من حيث أهمية وجوده كحدث يهدف لغاية ما.

٣- مرحلة التقييم: (التعليق)

تُعَدّ هذه المرحلة من أهم وأصعب مراحل قراءة التأريخ وتأويله؛ إذ لابد من معرفة مكنونات النص وغايات الكاتب ومراميه؛ من أجل تأويل النصوص وتفسيرها والحكم عليها بعد إدراك معانيها.[٨]

المبحث الثاني: تأويل النص التاريخي في ظل الأدوات المنهجية التاريخية[٩]

المطلب الأول: الأدوات المنهجية لتأويل النص التاريخي

من المسلّمات في إطار تأويل النص التاريخي وفق الأدوات المنهجية أن يكون لدينا جملة مسارات واضحة يمكن الاستناد إليها في عملية التأويل والتفسير والتقييم والتعميم للنصوص التاريخية. إن من أهم الأدوات التي لابد للمؤرخ من فهمها للحكم على النصوص بعد تأويلها هي معرفة المفاهيم التاريخية.

فما هي المفاهيم التاريخية؟ إن المفهوم التاريخي يعني: كل تعبير مجرد ومختصر يشير إلى مجموعة من الحقائق والأفكار المتقاربة من حيث المعنى والدلالة. إذن هو صورة ذهنية عن موضوع معين على الرغم من عدم ارتباطه المباشر بالموضوع قيد القراءة والدراسة.[١٠] إن من أهم خصائص المعرفة التاريخية هي كونها مجال لتداول واستعمال أنواع عدة من المفاهيم منها ما هو نتاج فكر المؤرخين، وبعضها مأخوذ من ميادين وعلوم أخرى لكن تم توظيفه في المعرفة التاريخية.[١١] وهنا لابد من تحديد مسارات التفكير الناقد في تأويل وفهم النصوص التاريخية، فهذا النوع من التفكير يرتكز على ضرورة معرفة جملة مفاهيم محيطة بالنصوص المراد تفسيرها وتأويلها.

ومن أبرز أصناف المفاهيم التاريخية المؤسسة لهذا النوع من الفهم:[١٢]

١- مفاهيم مرتبطة بالزمن: الحقبة، المدة، القرن، العقد، العصر، ...إلخ.

٢- مفاهيم مرتبطة بالمجتمع: الأمة، الجماعة، القبيلة، العصبة، الطبقة، ...إلخ.

٣- مفاهيم مرتبطة بالمجال: الحضارة، الدولة، الجهة، ...إلخ.

المطلب الثاني: التفسير التاريخي وتأول النصوص

إن من أهم الأدوار التي يقوم بها المؤرخ أثناء عملية الكتابة التاريخية هي معرفة الأسباب والدوافع وراء الحدث، فيبدأ بطرح التساؤلات المنهجية حول النص التاريخي، حول ماذا حدث، وكيف حدث، ومتى حدث، وأين حدث، ولماذا حدث، وللاتساع أكثر ما المتوقع لو لم يحدث هذا الشيء أو حدث بكيفية أخرى، وهكذا دخولاً في ميدان التحليل والاستنتاج والتأويل والتفسير التاريخي للوقائع وصولاً لحالة من الحكم بحق الواقعة التاريخي مبني على جملة أدلة وتأويلات منطقية. إن كل هذه التساؤلات أنتجت لنا معادلة فلسفية في النظر للأحداث التاريخية والحكم عليها فظهرت لنا نظريات عدة في صناعة التاريخ، وطبيعة الدورة التاريخية.[١٣]

إن النظرة القديمة التي كانت سائدة في تفسير التاريخ كانت تركن إلى التلقائية والبساطة في تفسير النص التاريخي وتأويله عبر مفهوم أخذ العبرة من الحدث التاريخي فقط، ولكن تطور الدراسات التاريخية أنتج لنا آليات جديدة للتأويل والتفسير تقوم على ضرورة معرفة ارتباط الأسباب بالمسببات لكل حدث، حتى وصلنا إلى أن يضع بعض فلاسفة التاريخ قوانين ثابتة اعتبروها طريقًا ثابتةً يسير عليها التاريخ.[١٤] إن وجود أداة التأويل والتفسير في المعرفة التاريخية جعلها معرفة علمية تقوم على جملة عمليات عقلية وذهنية كالتحليل والاستنتاج والاستدلال والبرهنة والمقابلة والاستقراء، فلا يكفي مجرد الفهم وإنما لابد من معرفة الأسباب والمسببات والعلة من وراء كل حدث تاريخي.[١٥] إن التأويل والتفسير يعد أهم الأدوات التي تفك إشكالاً كبيرًا يضفي عادةً على المادة التاريخية جملة كبيرة من الغموض؛ حيث أن التأويل يجيب عن التساؤلات.[١٦]

وما دمنا نتكلم عن التأويل والتفسير فلابد أن نستكنه معنى تفسير التاريخ، فهو عمومًا نوعان:[١٧]

١- التفسير بالنسق:

وهو التفسير البديهي إن صح التعبير، وهو أن يقوم المؤرخ بتفسير حدث لاحق بحدث سابق، وهذا الاستتباع البديهي يمكن المؤرخ من معرفة مقتضيات السلوك البشري، ويستفاد من هذا النوع من التفسير في علم المستقبليات، وهو توظيف التاريخ في فهم المستقبل.

٢- التفسير بالقاعدة المطردة:

ويقصد بها الانطلاق من قاعدة عامة لاستنتاج حقيقة تاريخية عبر الاستقراء والقياس، وقد استخدم هذه القاعدة المؤرخ الإنجليزي أرنولد تونبي في نظريته الشهيرة "التحدي والاستجابة"، وقد لاقت هذه النظرية تأييدًا وكذلك اعتراضًا من جمهور المؤرخين.

المبحث الثالث: إمكانية تأويل النص التاريخي والحفاظ على السياق، السيرة النبوية مثالاً

المطلب الأول: منهجية تأويل النص التاريخي المرتبط بعصر النبوة

إن من أبرز الإشكالات التي يمكن الوقوف عليها عند اطلاعنا على تأويل وتفسير النصوص التاريخية الخاصة بعصر النبوة هي تعدد المناهج وأنماطها، والأدوات وأشكالها على نحو قد يشوش على القارئ أحيانًا؛ بسبب تعدد المناظير المسلطة على ذات النص التاريخي لاسيما في مرحلة دقيقة مثل عصر النبوة، إذن فلابد من وجود منهجية راسخة لتأويل هذه النصوص. وهنا يمكن أن نقف على بعض هذه المنهجيات، ومنها الاتجاه التاريخي التقليدي[١٨]، وقد عرف عن هذا الاتجاه انغماسه في التاريخ العسكري والسياسي، وهو النمط التقليدي السائد في الدراسات التقليدية، وينطوي على كثير من جوانب الأخذ والرد؛ لتباين الرؤى، واختلاف الأرقام والإحصاءات الواردة، وكذلك وجود أمور قد تنطوي على تحليل وتقدير شخص لبعض التصرفات من الأفراد قد تنسحب على تأويل وتفسير متعدد الأوجه لذات الحدث التاريخي، أو قد يكون هذا الفهم أو ذاك مدخلاً للطعن والتأويل وإثارة الشبهات والشكوك والتخرصات المبنية على تأويلات انفعالية أو منحازة، أو تميل لتفسيرات غير واقعية.[١٩]

المطلب الثاني:

المنهج النبوي في تفسير وتأويل القرآن الكريم.. الدلالات المنهجية

قبل الدخول في تفاصيل هذا المطلب لابد من الإشارة إلى أن المعروف عند أهل العلم أن أفضل أنواع تفسير القرآن هي تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بالسنة النبوية، والسيرة النبوية هي التفسير العملي والتطبيق الحي للسنة النبوية لذا كان الاعتناء بها واهتمام المفسرين بها ضروري لفهم القرآن الكريم وهذا ما ذهب إليه جمهور أهل العلم[٢٠]، ومن هنا نفهم قول ابن أبي الرجال: "ما قال النبي (ﷺ) من شيء فهو في القرآن، وفيه أصله، قرب أو بعد، فهمه من فهمه، وعمه عنه من عمه، قال تعالى: **(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)** (الأنعام:٣٨)... وهكذا حكم جميع قضائه، وحكمه على طرقه التي أتت عليه، وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه، ويبلغ منه الراغب حيث بلّغه ربه تبارك وتعالى، لأنه واهب النعم ومقدّر القسم".[٢١]

قال الشاطبي:" السنة راجعة في معناها إلى الكتاب، فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره، وذلك لأنها بيان له، فلا تجد في السنة أمرًا إلا وقد دلّ على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية".[٢٢] إذًا فتطبيقات الرسول (ﷺ) العملية للقرآن تفسير له، كما أن من أقواله صلى الله عليه وسلم ما هو تفسير وتأويل للقرآن الكريم، لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بَيَّنَ لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم الفاظه، فقوله تعالى: **(بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)** (النحل:٤٤) يتناول هذا وهذا".[٢٣] وقال ابن القيم: "البيان من النبي (ﷺ) أقسام: أحدهما: بيان نفس الوحي بظهوره على لسانه بعد أن كان خفيًا. الثاني: بيان معناه وتفسيره لم احتاج إلى ذلك. الثالث: بيانه بالفعل كما بيَّن أوقات الصلاة للسائل بفعله. الرابع: بيان ما سُئل عنه من الأحكام التي ليست في القرآن، فنزل القرآن ببيانها .. إلخ".[٢٤]

ويمكن إيجاز المقصود مما تقدم بالتالي:

١- ما قصد منه توضيح معنى جملة أو مفردة من مفردات القرآن الكريم، وهذا يكون بالقول وبالفعل، فالقول كتفسير سورة الفاتحة[٢٥] . وتفسير الشاهد والمشهود بيوم الجمعة[٢٦]، والفعل كصلاته تطوعًا صلى الله عليه وسلم حيثما توجهت به راحلته في السفر[٢٧]، وهو توضيح معنى قوله سبحانه: **(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)** (البقرة: ١١٥)، وكما يقول (ﷺ) في ركوعه وسجوده في الصلاة: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي" يتأول قول تعالى: **(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)** (النصر:٣)[٢٨]، وهذا توضيح لوقت التسبيح وصيغته[٢٩].

٢- ما أزال به الإشكال عن فهم مغلوط للآية، كتفسيره الظلم بالشرك في قوله تعالى: **(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)** (الأنعام:٨٢)[٣٠]، كي لا يفهم منها مطلق الظلم.

٣- ما جاء توكيدًا لمعنى قرآني، وهذا يكون بالقول والفعل، والقول كتأكيده أهمية الإيمان بالله والصلاة والزكاة، والفعل كتطبيقه العملي للعبادات والمعاملات والأخلاق القرآنية.[٣١]

المطلب الثالث:

استخدام منهج المحدثين في تأويل نصوص السيرة النبوية وتدوينها

لا شك أن السنة النبوية من أهم مصادر السيرة النبوية، وأن هنالك ارتباطًا وشيجًا بين السنة والسيرة لغة واصطلاحًا، وهو ما يدل دون شك على الصلة والارتباط بين عمل المحدثين والمؤرخين، وأن هذا التلاقي والاشتراك المعرفي بين منهجي العلمين يفضي إلى مشترك كبير بشكل عام، سواء على صعيد نقل الخبر أو نقده.[٣٢] ومن أهم الأمور التي ساعدت على وجود الوحدة المنهجية هي أن عددًا من المحدثين اشتغلوا بالتأريخ والتدوين، وأن الكثير من مؤرخي السيرة كانوا بالأساس محدثين، لذا تجد أن هنالك من يشترط في المؤرخ نفس الشروط المطلوبة في المحدث كما هو الحال عند الكافيجي (ت. ٨٧٩هـ) عند حديثه عن شروط المؤرخ فيقول:"ينبغي أن يشترط في المؤرخ ما يشترط في راوي الحديث من أربعة أمور: العقل، والضبط، والإسلام، والعدالة".[٣٣]

كما نجد أن السخاوي (٩٠٢هـ) يقول: أما شرط المعتني به – أي بالتاريخ – فالعدالة مع الضبط التام".[٣٤] ويقول الذهبي (ت. ٧٤٨هـ)

عن دور المحدثين في حفظ السنة والسيرة النبوية:" وجعل فيهم أئمة، ونقادًا يدققون في النقير والقطمير، ويتبصرون في ضبط آثار نبيهم أتم التبصير، ويتعوذون بالله من الهوى والتقصير ويتكلمون في مراتب الرجال، وتقرير أحوالهم من الصدق، والكذب، والقوة، والضعف، أحسن تقرير".[٣٥] ويقول الشافعي (ت. ٢٠٤هـ): "مثل الذي يطلب العلم بلا إسناد مثل حاطب ليل لعل فيها أفعى فتلدغه وهو لا يدري".[٣٦] وعلى هذا فإن عناية المؤرخ بالبحث عن أحوال النقلة، ومعرفة تاريخ الرواة، ومراد النصوص وسبل التعامل معها وتفسيرها وفهمها أمر مهم جدًا، لصناعة جيل عارف بسيرة نبيه، يأخذها وفقًا لمنهج متين ورصين، ويتأتى ذلك بالحرص على تعليم علوم الحديث للجيل الصاعد ولاسيما طلبة الدراسات التاريخية لتكون لهم منهجًا، ويسهموا بذلك في إعادة عرض السيرة النبوية والتجديد في تناولها، وتفسيرها وتأويلها بشكل راسخ.[٣٧]

خاتمة

من خلال ما تقدم يمكن أن نصل إلى أن هنالك جملة من الأمور لابد من توظيفها في عملية تأويل النصوص التاريخية، ومنها: (إن التأويل هو مسار منهجي لابد أن تُتبع فيه جملة من الأدوات والمعايير الضابطة لعملية التأويل، كما أن للتأويل والتفسير أوجه ومبادئ ومفاتيح لابد أن تكون حاضرة في ذهن المؤرخ؛ لتوظيفها عند تعامله مع النصوص، وإن للسيرة النبوية خصوصية في مجال تأويل النصوص التاريخية الخاصة بها، وهناك إشارات ودلالات يمكن أن نستقيها من المنهج النبوي في تأويل وتفسير الآيات القرآنية). هذا ويُعَدّ منهج المحدثين من الأساليب والأدوات المنهجية التي اتبعها بعض المؤرخين في فهم وتأويل النصوص التاريخية وفقًا لرؤية المحدثين وطريقتهم في التعاطي مع النصوص، فهو منهج لايقف عند حدود التدوين والتوثيق بل ويدخل في تأويل وتفسير النصوص.

الهَوامِشُ:

(١) أحمد مختار عبد الحميد عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط١(عالم الكتب، ٢٠٠٨م) ج ١ ص١٣٩.

(٢) إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧) مادة: أول.

(٣) عامر كنبور، **مقاربة لبعض الجوانب النظرية والديداكتيكية لتوظيف النص في الدرس التاريخي**، بحث مطبوع على الآلة الكاتبة.

(٤)ينظر: عبد الحميد صديقي، **تفسير التاريخ**، ترجمة: كاظم الجوادي، ط١(الكويت، دار القلم، ١٩٨٠م) ص١١ وما بعدها.

(٥)ينظر: ملفي بن حسن الشهري، **التأريخ وأهميته في رواية الحديث ومعرفة الرواة**، ط١(السعودية، جامعة أم القرى، ٢٠١٠م) ص١٧ وما بعدها.

(٦) كنبور، **مقاربة**، ص٥.

(٧) عبد الله العروي، **مفهوم التاريخ**، ط٥(الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٢م) ص١٧ وما بعدها.

(٨) عثمان موافي، **منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الأوروبي**، بلا.ط (الإسكندرية، د.ت) ص١٨ وما بعدها؛ آرنست كاسيرر، **في المعرفة التاريخية**، ترجمة: أحمد حمدي محمود، بلا.ط (القاهرة، دار النهضة العربية، د.ت) ص٣٥ وما بعدها.

(٩) عبد العزيز علوي الأمراني، **من تاريخ السرد إلى تاريخ النقد: نحو تطوير المعرفة التاريخية في الوطن العربي**، بحث مطبوع على الآلة الكاتبة.

(١٠) جودت أحمد سعادة، **مناهج الدراسات الاجتماعية**، ط١(لبنان، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م) ص٣١٥.

(١١) خيري علي إبراهيم، "**تطور مناهج التاريخ على ضوء مدخل المفهومات**"، المجلة العربية للتربية، المجلد (٧)، العدد (١)، ١٩٨٧، ص٧٨.

(١٢) مصطفى الحسني الإدريسي، **المساهمة في تعليم الفكر التاريخي**، بلا.ط (الرباط، ٢٠٠٥م) ص٧ وما بعدها.

(١٣) الأمراني، **من تاريخ السرد**، ص٩.

(١٤) أحمد محمود بدر، "**تفسير التاريخ من الفترة الكلاسيكية إلى الفترة المعاصرة**"، مجلة عالم الفكر، العدد٢٩، ٢٠٠١، ص٢٢.

(١٥) الأمراني، **من تاريخ السرد**، ص١٠.

(١٦) شكير عكي، **التفسير التاريخي في المرحلة الثانوية – التأهيلية: دراسة تشخيصية**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، الرباط، ٢٠٠٣م، ص٥٦.

(١٧) العروي، **مفهوم التاريخ**، ج١ ص٢٩٥ وما بعدها.

(١٨) الأمراني، **من تاريخ السرد**، ص٥.

(١٩) العروي، **مفهوم التاريخ**، ج١ ص٢٠٥ وما بعدها.

(٢٠) أحمد بن عبد الحليم الحراني ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد، ط٢ (د.م، ١٣٩٨هـ) ج٣، ص٣٦٣؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، **الاتقان في علوم القرآن**، تعليق: مصطفى البغا، ط١(دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ) ج٢، ص١١٩٧.

(٢١) أحمد بن نصر الداودي (ت. ٤٠٢هـ)، **طبقات المفسرين**، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ) ج١، ص٣٠٦.

(٢٢) إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، **الموافقات**، تحقيق: عبد الله دراز، بلا.ط (بيروت، دار المعرفة، د.ت) ج٤، ص١٢و١٥.

(٢٣) أحمد بن عبد الحليم الحراني ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، **مقدمة في أصول التفسير**، بلا.ط (بيروت، دار مكتبة الحياة،، ١٩٨٠م) ص٩.

(٢٤) محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بلا.ط (دار الباز، د.ت) ج٢، ص٢٩٥-٢٩٦.

(٢٥) أبو السعادات المبارك بن محمد الأثير (ت ٦٠٦هـ)، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق وتعليق وتخريج: عبد القادر الأناؤوط، بلا.ط (مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح ودار البيان، ١٣٨٩هـ) ج٢، ص٧.

(٢٦) أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، **فضائل الأوقات**، تحقيق: عدنان القيسي، ط١(مكة المكرمة، مكتبة المنارة، ١٤١٠هـ) ص٣٤٩.

(٢٧) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تصحيح: محب الدين الخطيب وآخرون، بلا.ط (المكتبة السلفية، ١٣٩٠هـ)، كتاب مواقيت الصلاة، باب من نسي الصلاة.

(٢٨) المصدر نفسه، **كتاب صفة الصلاة**، باب التسبيح والدعاء في السجود.

(٢٩) **السيرة النبوية**، الحميدان، ص٦.

(٣٠) المصدر نفسه، ص٧.

(٣١) المصدر نفسه، ص٧.

(٣٢) يسري، **التجديد في عرض السيرة النبوية**، ص٣٥.

(٣٣) محمد بن سليمان بن سعد الكافيجي (٨٧٩هـ)، **المختصر في علم التاريخ**، نشره فرانز روزنثال ضمن كتاب **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة. صالح أحمد العلي، بلا.ط (بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣م) ص ٣٣٦-٣٣٧.

(٣٤) محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت. ٩٠٢ هـ)، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، تحقيق: فرانز روزنثال، ترجمة التحقيق. صالح أحمد العلي، ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م) ص١٠٧.

(٣٥) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت. ٧٤٨هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، بلا.ط (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م) ج١/ ص١.

(٣٦) الخليل بن عبد الله بن أحمد أبي يعلى الفراهيدي (ت. ٤٤٦هـ)، **الإرشاد في معرفة علوم الحديث، دراسة وتحقيق**. محمد سعيد عمر إدريس، ط١(الرياض، مكتبة الرشد، ١٩٨٩م) ج١، ص١٥٤؛ أبو عبد الله ابن عدي (ت.٣٦٥هـ)، **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق. سهيل زكار، ط٣(بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ) ج١، ص١٢٤.

(٣٧) الشهري، **التأريخ**، ص٧.